الفصل التاسع

الأغنية الشـــعبية

وهذا نمط ثامن من أنماط التعبير الشعبى يؤدى وظيفة خاصة فى حياة الشعب •

وتختلف الأغنية الشعبية عن غيرها من سائر أشكال التعبير الشعبى فى كونها تؤدى عن طريق الكلمة واللحن معا ، لا عن طريق الكلمة وحدها • ومن ثم كان البحث فى الأغنية الشعبية ذا شقين ، شق يختص بالكلمة وشق يختص باللحن الموسيقى • أما الشق الموسيقى فينبغى أن يكون البحث فيه من اختصاص الباحثين فى الموسيقى بصفة عامة . والموسيقى الشعبية بصفة خاصة • وأما الجانب الكلامى فيدخل فى اختصاص أصحاب الدراسات الفولكلورية والاجتماعية • ومن ثم فاننا سنقصر بحثنا على الجانب الكلامى فى الأغنية الشعبية •

ويمكننا أن نقسم الأغنية الشعبية ــ وفقا للوظيفة التى تؤديها الى ثلاثة أقسام :

١ ــ أغنيات المناسبات الاجتماعية •

٢ ــ أغانى العمل •

٣ ــ الموال •

وهذا التقسيم من الأهمية بمكان ، حيث ان كل نوع من هذه الأنواع يؤدى من ناحية وظيفة محددة فى حياة الشعب ، كما أنه يسهم من ناحية أخرى فى استجلاء الملامح الأساسية لبناء المجتمع الشعبى والشخصية الشعبية التى تعيش فيه •

١ ــ فاذا بدأنا بأغنيات المناسبات الاجتماعية لنتحدث عن وظيفتها ، فان أول ما يتبادر الى الذهن أن الأغانى التى يتغنى بها فى كل مناسبة اجتماعية يحتفل بها الشعب ، مثل الزواج أو الختان أو سبوع

الطفل أو الحج أو موالد الأولياء ... الخ ، لابد أن تخدم مناسبتها • ومعنى هذا أن أغانى الأفراح والختان والسبوع تثير الاحساس بالسعادة والفـرح ، وأن الاغانى التى تنشد فى مناسبات دينية تمثل وظيفتها فى ايقاظ القيم الدينية والاحساس الدينى عند الشعب • هذا ما يتبادر الى الذهن لأول وهلة فيما يختص بوظيفة الأغنية فى مناسبتها • ولكننا اذا أمعنا النظر وعشنا مع جوهر الأغنية ، أدركنا أنها ــ بعيداعن مناسبتها المباشرة ــ تكشف عن نظام المجتمع الواقعى الذى يعيشـه الشعب ، ذلك المجتمع الذى أصبح يعيش فتـرة من فتـرات الصراع الحضارى الذى يغزوه ويفرض عليه أن يغير بعض مفاهيمه من ناحيـة أخرى • وهنا نجد أن الأغنية الشعبية الحية (ونعنى بذلك تلك الأغنية التى نبعت من صميم الشعب لفظا ولحنا ، وتوارثها الشعب ، ثم خضعت لما تخضع له أشكال التعبير الشعبى الأخـرى من تطوير أو تغيـير فى محتواها) تسهم مع غيرها من أشكال التعبير الشعبى فى الكشـف عن صورة بناء المجتمع الشعبى •

ولنبدأ بعرض نماذج من أغانى المناسبات الاجتماعية لنرى الى أى حد يمكن أن تكون هذه الأغنيات ممثلة للجـوانب الواقعية فى بنـاء المجتمع الشعبى •

فمن أغانى الأفراح هذه الأغنية التالية :

على عقـد اللولى يا ولهى ، على عقد اللولى
واللـه ما أسـيب ابن عمى لو دبحـونى
احنـا بنـات أبو نـوار على عقـد اللولى
لا نحب الضحـك ولا الهزار على عقد اللولى
واللى عايزنا يجينـا الدار على عقد اللولى
واللـه ما أسـيب ابن عمى لو دبحـونى

فهذه الأغنية تكشف عن المقومات التالية فى المجتمع الشعبى :

أولا ــ الاشادة بالأصل الطيب الذى يعد من أهم أسس الزواج الصالح من وجهة نظر الشعب • فاذا شاء الأب أن يزوج ابنته زواجا يشرفه فى مجتمعه ، فلابد أن يختار من بين الخطاب من هو أعرقهم أصلا لا من هو أكثرهم مالا • وهذا بعينه ما يراعيه الرجل فى اختياره للزوجة الصالحة • وكل هذا يتركز فى عبارة « احنا بنات أبو نوار » • ولابد أن يكون أبو نوار هذا معروفا فى مجتمعه بأصله الطيب أو أن يكون مجرد اسم رمزى • ومن ثم فان بناته تزهين بأنهن بنات أبى نوار •

ويؤكد الموال التالى هذه القيمة الاجتماعية ويبين سبب التمسك بها • يقول :

يالللى غويت النسب مهرك لازم يكون وياك
يا اللى غويت النسب سيبك من الأملاك
وع الأصيل دور
دور على الأصيلة تصبر على طول الزمن وياك
ان كان بدك تناسب ناس لجيرانها
خذ بنت الأصيل والمجد لجيرانها
تعيش على الملح ولا تشتكى لجيرانها
ان طلبوا مهر الأصيلة ادفع لهم مهرين
يا للى غويت النسب
الغالى غالى ياالى تعرفوا الغالى
تعيش معاك بالأدب لو الثياب مهرين(١)
وتصون دارك ويبقى لك شرف غالى
وتبقى سبب السعادة فى منزلك مهرين
يا للى غويت النسب
ما دام انت حبيت دور ع الأصول م البيت
ان غبت راجل تسيب راجل وراك فى البيت
وفى الخلف تلاقى ذوق الولد فى البيت
وتعمر البيت ولا تجيب الشر لجيرانها

(١) اى بالية .

ثانيا ــ بالاضافة الى هذا ، ينبغى أن تكون الفتاة متمتعة بسمعة طيبة • وفى عرف المجتمع الشعبى أن البنت التى تكثر من « الضحك والهزار » تعرض سمعتها للخطر • ولهذا فقد أشادت الأغنية بصفة من صفات بنات أبى نوار وهى أنهن لا يملن الى الضـــحك والهزار • ولا تعنى الأغنية بطبيعة الحال أنهن يتسمن بالعبوس ، بل تعنى أنهن لا يشتهرن بين الناس بكثرة الضحك والمـداعبة بحيث تنتفى عنهن صفة الجدية • وتؤكد الأغنية التالية هذا المعنى فتقول ••

يابت مـا تضحكيش لا الضحـك يرميكى
لتشمتى العـــدو وابن الحرام فيـك
يابت مـا تضحكيش وتبينى ضـــبك
لابن الحرام وابن الحلال ياخدوا حمـار خدك

وهنا يتبين لنا الى أى حد ينظر المجتمع الى هذه الصفة بوصفها عيبا يشين الفتاة الى درجة أنها قد تعطل زواجها فتلوكها الألسنة ، بخاصة ألسنة أعداء أسرتها •

ويرتبط بهذا المبدأ فى الزواج مبدأ آخر هو ضرورة الاطمئنان الى حسن سيرة الأم • ومن هنا جاء المثل : « اكفى القدرة على فمهـا تطلع البنت لأمها » • وتقول الأغنية :

يا خـاطب البنت شـوف الأم قبليها
واســأل عن الخال وبعد الخال أب ليها

على الزوج اذن أن يراعى فى زواجه أن تكون عروسه من منبت طيب ، وأن تكون جـادة ، وأن تكون أمها ، بل أخـوالها ، متمتعـين بسمعة طيبة • ولهذا فان الأغنية التالية تنصح الرجل ألا ينخدع بمـا دون ذلك من مظاهر :

ما تبصش لحلاوتها ولا لخـرطة قصتها
قدام الفـرن يا وكستها
وماتخـدش السهتانة ولا أم كحلة ولا لبـانة
تاكـك وتعمـك عيـانة

ثالثا ــ الزواج بابن العم ، ان كان موجـــودا ، هـــو المـــزواج المرغوب فيه عند كل أسرة ، ولهذا فاننا نجد أن العبارة التى تتكرر فى الأغنية الأولى بعـــد كل مقطع هى : « والله ما أسيب ابن عمى لـــو دبحونى » • ويؤكد هذا المبدأ المثل القائل : « آخد ابن عمى واتغطى بكمى » • كما تؤكد الأغانى المتعددة التى ترتكز على أهمية المـــزواج بابن العم ، والتى تجعل الزواج بابن الخال فى مرتبة تالية :

يـــانـــا يـــا بن عمى يـــانـــا يـــاالغريب
ان جـــانى ابن عمـــى لزغـــــرد وأغنى
وأقـــول ده ابن عمى أبدى من الغـــريب
يـــانـــا يابن خـــالى يـــانـــا يـــاالغريب
ان جـــانى ابن خـــالى لزغـــرد وألالـــى
وأقول ده ابن خـــالى أبدى من الغـــريب

وكذلك الأغنية التاليـــة :

أبويـــا قاللى يا لـــوزة بـــين الجنـــــاين
حطى الحجر ع الجوزة بـــين الجنـــــاين
أولاد العم لهم عـــوزة بـــين الجنـــــاين

فاذا تجاوزنا أسس الزواج الصالح كما تتضح فى أغانى الأفراح الى قيم اجتماعية أخرى تفصح عنها تلك الأغانى بعينها ، فاننا نجدها تعبر عن اعتزاز الجماعة بأهمية المهر وارتفـــاع قيمته • وهى لا تخفى رأى الشعب فى أن المهر يعد ثمنا لشراء العروس • تقول الأغنية :

ادوا لابوها قد ما رباها روح يا عم ما انت قد شرها
ادوا لابوها قد ما رباها يا متين جنيه أنا والعبيد وراها
ادوا لابوها قد ما دلعهـــا يامتين جنيه أنا والعبيد تبعهـــا

وأهم ما يعزز مركز المرأة فى بيت زوجها بعد أن تختار وفقا للقيم الاجتماعية التى اصطلح عليها المجتمع الشعبى ، انجابها للأبناء وللبنين منهم بصفة خاصة • ولهذا فهم يدعون للعروس ليلة زفافهـــا بقولهم :

« ربنا يجعلك شجرة تطرح وتملا المطرح » • فكما أن الشجرة تتوقف أهميتها على ما تقدمه من ثمر طيب . كذلك تتوقف قيمة المرأة على الانجاب • وويل للمرأة التى تتزوج وتمكث مدة دون أن تظهر عليها أمارات الحمل • وفى الأغنية التالية دعاء للعروس ليلة زفافها بأن يكون قدومها على أهل العريس قدوم السعد ، وأن تمنح زوجها الابن الذكر الذى تقر به عينه ••

من سبل الغلة ما تجيب لنا يا حمام
من سبل الغلة يجعل قدامها ندى
ع العم والعمة وتبكرى بالولد
وتعمرى دارنا ما تجيب لنا يا حمام

ويتضح من هذه الأغنية مرة أخرى الربط الوثيق بين خصوبة التربة وما تدره على الفلاح من محصول يهمه وهو القمح ، وبين زواج البنت وانجابها للأبناء الذين يعمر بهم بيت أهل الزوج •

وهكذا نرى كيف أن الأغنية التى ينطلق بها الشعب مغنيا تعبيرا عن الفرح فى مناسباته الاجتماعية السعيدة ، تؤدى حقا وظيفة جوهرية بالاضافة الى التعبير عن الفرح ، وهى تأكيد القيم التى تقوم عليها الأسرة • وعلى الرغم من ذلك فان هذه لقيم قد يعتريها التغير فى زحمة التطور الحضارى وبسبب انفتاح القرية على العالم الخارجى ، أو لنقل يعتريها التخلخل نتيجة طموح أهل القرية ورغبتهم الملحة فى تغيير مستواهم الاجتماعى والحضارى • تقول الأغنية التالية :

ع الزراعية يا رب أقابل حبيبى
ع الزراعية أنا شفت بختى ونصيبى
ع الزراعية بيمسكونى المطرحة
ع الزراعية بيحسبونى فلاحة
ع الزراعية دنا بنت مصر مدردحة
يا رب أقابل حبيبى
ع الزراعية يا رب أقابل حبيبى
ع الزراعية أنا شفت بختى ونصيبى

ع الزراعيـــة بيمسكونى الطبـــلية
ع الزراعية بيحســـبونى صـــعيدية
ع الزراعيـــة دنا بنت مصر منقيـــة
يا رب أقابل حبيبى

فبنت مصر من وجهة نظـــر بنت الـــريف ، أرقى فى مستـــواها الحضارى • وربما تكون بنت الريف قد رأت بنت مصر فى أثناء زيارتها للقاهرة ، أو رأتها فى الريف ، أو فى أى مكان آخر ، غير متمسكة بالتقاليد التى نشأت هى عليها ، فتمنت لو أنها وصلت لمستواها الحضارى • ومن ثم فهى تعبر عن الأمل فى أن تكون مثلها فترتفع بذلك عن مستوى البنت الريفية والصعيدية •

وليس هـــذا فحسب ، ولكن بنت الريف تنســـب لنفسها صفة « الدردحة » التى تبعد بها عن الحياء المستحب لبنات أهـــل الريف ، وهى فى ذلك تناقض ما ادعته فى الأغنية الأولى من زهوها بأنها لا تحب « الضحك ولا الهزار » • وكل هذا يدل على مـــدى ما يصيب أهـــل الريف وما يمكن أن يعترى حياتهم من تغيير فى قيمهم الاجتماعية •

وفى أغنية أخرى تغنى بلحن الأغنية الســـالفة وتستغل صيغتها الاستهلالية ، يتمثل تخلخل نظرة المجتمع الى قيمة اجتماعية أخـــرى وهى زواج الفتاة من ابن عمها • تقول الأغنية :

ع الزراعيـــة يا رب أقابل حبيبى
ع الزراعية قالوا لى تخدى ابن عمك
قلت ياذلى قالوا لى تخدى ابن خالك
قلت يا ذلى قالوا لى تخدى الغريب
زغردت أنا وامى يارب أقابل حبيبى
ع الزراعيـــه يا رب أقابل حبيبى
ع الزراعية قالوالى تخدى ابن خالك
قلت يا ذلى قالوا لى تخدى الغريب
قلت ياذلى قالوا لى تخدى ابن عمك

زغردت أنا وامى يارب أقابل حبيبى
ع الزراعيـــة يا رب أقابل حبيبى
ع الزراعية قالوا لى تخدى الغريب
قلت ياذلى قالوا لى تخدى ابن عمك
قلت ياذلى قالوالى تخدى ابن خالك
زغردت أنا وامى يارب أقابل حبيبى

فالأغنية على هذا النحو ترحب بالزواج بالغريب ترحيبها بابن العم وابن الخال ، و هى ، بتعبير آخر ، تضعهم على قدم المساواة من حيث الصـــلاحية • أ

وفى أغنيـــة أخـــرى تهدهد الأم فيها طفلها وتحلم بمستقبله ، وتستعرض الأعمـــال التى يمكن أن يشغل بها عندما يكبر ويشـــب عن الطوق ، فاذا بها تبعد به فى بادىء الأمر عن عمل الفلاحة المتـــوارث فهى تتمنى له أن يكون بناء يكسب النقود الكثيرة ويزين اصبعه بخاتم ذهبى • ثم تتردد فى اشتغاله بهذه الحرفة التى تجعل يده ملوثة بالطين فتتمنى له أن يكون بائع أقمشة يبيع الذراع بسبعين كما تقول الأغنية ثم تتصاعد معه فتتمنى له أن يكون باشا ثم سلطانا • ولكنها تعـــود بعد كل هذا الى عالمها الواقعى فتختار له مهنة الفلاحة التى ورثها عن أبيه وجـــده • وكل هذا يدل على رغبة أهل الريف الملحـــة فى توسيع أفقهـــم الحضـــارى •

ان عشت وحيـــــاة الله — مبعملكش الا بنـــــا
خاتم ذهب فى صبعـــك — كتـــك يزين الحنـــا
مبعـــلكش بنـــــا — لا اديك تتعاص فى الطين
مش عملاك الا خواجة(١) — تبيع الدراع بســـبعين
مبعملكش خـــواجة — لتكسر فى دكـــانـــك
مش عملاك الا باشـــا — كل الســـعاى خدامك
مبعملكش باشـــــا — لكل سنة تروح لك عزلة
مش عملاك الا سلطان — كل سنة تروح لك خزنة

---

١. الخواجة هنا بمعنى الأفندى .

مبعملكش سـلطان لتطلع عليك القوم تخضك
مش عملاك الا فـلاح صنعة أبوك وجـدك

٣ أغانى العمـل :

وليست وظيفة هذا النوع من الأغانى ، كما هو الحال فى أغانى المناسبات الاجتماعية ، هى رصـد المقومات الأساسية التى تقوم عليها الأسرة فى المجتمع الشعبى . بل ان وظيفتها الاساسية هى حث الجماعة على العمل فى ايقاع واحد . ولنستمع الى أحد الصيادين فى «رشيد» وهو يشرح لنا اهمية الغناء الجماعى فى أثناء الصيد . يقول : « لازم نغنى ساعة ما بنشد الغزل يقوموا الرجالة يشدوا مع بعضيهم ويجيبوا الغزل عدل ، فنصيد سمك كثير . انما لما منغنيش ، فواحد يشد من هنا والثانى يشد من هنا ، ويطلع الغزل مكشوف . علشان كده الريس بيتدى يحدى للرجالة وهم يردوا وراه ، فيطلع الغزل مضبوط قوى» .

ولهذا فاننا نجد أن أغنية العمل قد تفتقد الوحدة الموضوعية ، ذلك أن فترة العمل قد تطول بحيث يضطر المغنى الى أن يضيف الى الأغنية كل ما يطرأ على ذهنه من كلام ينساق مع لحن الأغنية . ومثال ذلـك .

ياقلبى صلى صـــلى عليـه
وامدح محمد صـــلى عليـه
محمد نبينـا صـــلى عليـه
والجمـــل هـــام بالنبـى
يـا عـــين صـلى على النبى
وصلاة النبى مكســـــــبى
حســـنين يـا ولاد النبـى
يالله حجـة ونـزور النبـى
ونـــزوره ونشـاهد نـوره

حقا اننا نجد هذه الأغنية تختص بذكر الرسول عليه السلام ، ولكنها ، كما نرى ، ترتبط بوحدة موضوعية ، فكل كلام يرتبط بذكـر الرسول يمكن أن يندرج فى الأغنية . حتى اذا استنفد المغنى قدرته على ايجاد الألفاظ المناسبة ، توقف ، وربما توقفت معه حركة العمـل

ولو لحظة . ثم يعود الى الغناء مرة أخرى فيختار موضوعا عاطفيا وتردد معه الجماعة نهاية كل عبارة يتغنى بها ، ومثال ذلك :

من يوم ما توبونى يابوى حلفونى اليمين — حلفونى اليمين
بت(١) مشيك عياقة ، والا البلاص تقيل — والا البلاص تقيل
دانا مشى عياقة يا ملكع يا لئيم — يا ملكع يا لئيم
بت بيضة من حالك والا غسيل صابون — والا غسيل صابون
دانا بيضة من حالى سكر ميه ليمون — سكر ميه ليمون
يابت جوزك غايب طابخة الحمام ده لمين — طابخة الحمام ده لمين
طبخة الحمام لعشيقى واللى علينا مين — واللى علينا مين
يا بهيه وخبرينى ع اللى قتل ياسين — ع اللى قتل ياسين
قتلوه اثنين صبايا من فوق ظهر الهجين — من فوق ظهر الهجين
واحكم بالعدل القاضى شهرين وأربع سنين — شهرين واربع سنين
وحكم بالعدل القاضى شهرين وأربع سنين — شهرين واربع سنين
على كبرى المحمودية حط الحمام وقال — حط الحمام وقال
ما خدش أبو طاقية قوم روح يابو شال — قوم روح يابوشال
يا بنات اسكندرية يابيض يا قصيارين — يابيض ياقصيارين
وبنات اسكندرية نسونى بلدى — نسونى بلدى
نسونى أمى وأبويا والثالث ولدى — والثالث ولدى
من يوم ما توبونى حلفونى اليمين — حلفونى اليمين

وقد تتغنى الجماعة بكلام يكشف عن الحرفة التى تشتغل بها . فهذه أغنية تختص بجماعة الصيادين ، وتردد فيها الجماعة عبارة ألفنا سماعها من الصيادين ومن البنائين وهى عبارة آه يا عليش .

هيلة هيلة — آه يا عليش
قلت لامى — آه يا عليش
جوزينى — آه يا عليش
بنت بيضة — آه يا عليش
يا اما اشترينى — آه يا عليش

---

(١) اى يابنت .

قـــالت لـــى أمى آه يـــا عليـــش
مـــا جـــوزكش آه يـــا عليـــش
لمـــا انت تعمـــل آه يـــا عليـــش
فى البحـــــر ريـــس آه يـــا عليـــش
واشـــوف عذابك آه يـــا عليـــش
يـــا بـــنى بعينى آه يـــا عليـــش
يـــا بحـــر غـــازى آه يـــا عليـــش
شـــيت راســـى آه يـــا عليـــش
تميـــل قـــلوعـــك آه يـــا عليـــش
فيـــك المـــراسى آه يـــا عليـــش
دا كـــل ريـــس آه يـــا عليـــش
يمشى يهـــزه آه يـــا عليـــش
والهـــم كـــله آه يـــا عليـــش
يعـــود على أمـــه آه يـــا عليـــش

وقد يصحب العمل غناء فردى تستمع اليه الجماعة وتطرب له فتستغرق ــ من ثم ــ فى عملها متناسية بذلك مشقة العمل • ولعل أفضل ما يلائم الغنـــاء الفردى فى هذه الحالة هو الموال •

٣ ــ وهنـــا ننتقل الى الحـــديث عن الموال وعن الوظيفة التى يؤديها فى حيـــاة الشعب • والموال ، كمـــا نعلم من أبنـــاء الشعب أنفســـهم ، نوعان : الموال الأخضر والموال الاحمر • والموال الأخضر كما يبدو من تسميته يرتبط بالنضرة والحيـــاة ؛ أى أنه الموال الذى يتغنى بالحب • أما الموال الأحمر فهو الموال الذى يبث فيه الانســـان الشعبى لوعته وألمـــه ؛ لا من الحب بل من خوفه على ضـــياع القيم الأخلاقية • وهنا نستطيع أن نقول بادىء بدء ان الموال ينبه الشعب الى قيمه الأخلاقية الأصـــيلة التى يخشى أن تضـــيع فى زحـــمة الاندفاع الحضارى ؛ وفى زحمة تكالب الناس على المكسب المـــادى حيث يمكن أن تختلط الأمور على الناس ؛ فاذا هم يرفعون من قدر الرجـــل الغنى ويحطون من شـــأن الرجل الفقير غـــير عابئين بمبـــدا الاصـــالة :

يـا تاجـر الـود هـو الـود شـجره قل
والا سـواقى الـوداد نزحـت وماءها فـل
أيـام بنشرب عسـل وأيـام بنشرب خـل
وأيـام ننـام على الفراش وأيام ننام فى الطل
وأيـام بتيجـى على ولاد الأصـول تنـذل
أنا رحت لشيخ عالم وصدرى م الهموم حنضل
رمـى الكتـاب من يمينـه قـال لـى :
من عـاشر النـذل بعـد الغنـدرة ينـذل

فانه من أشـد الأمور ايلاما لنفس الانسان الشعبى أن تضطره الظروف الى أن يلجأ لانسان خسيس رفع الحظ قـدره بين الناس • ومع ذلك فان أصالة الانسان الشعبى قد تدفعه الى أن يتصـور أن الخسيس قد يتراجع عن خسته بتأثير صحبة الأصيل له • ولهـذا فهو يقوم بتجربة صحبة الخسيس ، ويظل صابرا عليه على أمـل أنه قد يستطيع أن يجذبه الى زمرة الأصلاء • لكن نظرته المتفائلة تخـونه ، ويظل الخسيس خسيسا والأصيل أصيلا مهما تغيرت ظروف حياتهما :

من عشقى فى الزرع جبت عود مرير وناشيته(١)
وجبـت لـه ميـه فى كـف ايـدى ورويتـه
وجبت غربالْ قعـدت اغـربل فيـه ونقيتـه
وصـبرت عليـه حولْ لمـا آن طـرح جيته
وجـيت أدوقـه لقيتـه مـر لـم ينـداق
تعتب عليه ليـه مـا هو أصـلْ المـر من بيته

وليس هناك أجمل ولا أوقع من هذه الصورة الطبيعية البسيطة التى استعان بها الانسان الشعبى فى تصوير حرصه وأمله الشـديد فى أن تسود القيم الأصـيلة بين الناس جميعا • فمع يقينه بأن عـود الصبر سيظل كما هو محتفظا بمرارته ، مهما رعـاه الانسان واعتنى به ؛ دفعه عشقه للزرع ، أى عشقه الحياة النضرة الخصبة ؛ الى أن

---

(١) اى انشأته .

يتعهد بنفسه عودا من الصبر ، وأن يظل صابرا عليه ، متفائلا بنتيجة تجربته • وعندما اكتشف فى النهاية حكمة الأجداد ، وهى أن أصل المر من بيته ، امتلأ حسرة وألما •

وقد اصطلح الشعب على تسمية هؤلاء الأنذال الذين تعالوا على أبناء الأصول بالعويل • وعندما تنقلب الأوضاع فى الحياة يتوارى الحق وتتوارى القيم الأصيلة خلف الزيف والرياء ، ولا يسع الانسان الشعبى عند ذاك سوى أن يحتفظ لنفسه برأيه فى الناس :

يا خسارة الحلو لما بيوح لعويله
ويقدم العذر قدام الخسيس وعويله
ويرضى بالوقت يخدم كل ندل عويل
يعود النفس على شرب المرار والصبر
الكلب ظهر صوته والأسد ساكت
دنا شفت الأخرس اتكلم والفصيح ساكت
دا الحظ لما اشتغك علاه كتير ورفع
دا الندل مهما ارتفع واطى واسمه عويل

واذا تكاثرت الهموم على قلب الانسان من جراء معايشته لما فى الحياة من متناقضات ، بث أشجانه فى الموال ودعا نفسه الا نبوح بهمها ، لأنه ليس هناك جدوى من وراء ذلك • وهو فى هذا يستعين بصورة طبيعية أخرى ، يراها فى حياته اليومية ، ولكنه يلتقطها ويكسبها جمالا فنيا صادقا •

جمل حداه ألم تحت الحمل مدارى
لا الجمل بيقول آه ولا الجمال بيه دارى
(قال) دارى على بلوتك ياللى ابتليت دارى

وقد استغل الفنان الشعبى الموال فى حكاية أحداث قصصية حدثت أو من الممكن أن تحدث فى بيئته الاجتماعية • والغرض من رواية هذه المواويل القصصية هو بعينه الغرض من رواية المواويل غير

، وهو النعى على ما أصـاب الحيـاة من تخلخل فى القيمة
ـمية من ناحية ، والاشـادة بالسلوك الذى يتسـم بالرجـولة
والأصـالة من ناحية أخرى .

فهذه حكاية عن أسرة افتقـر عائلها وكان له ولدان هما مجـدى وممدوح . وكان لعائل هذه الأسرة أخت طيبـة القلب ، متزوجة من رجل ثرى ، ولها بنتان سنية وسـناء . وكثيرا ما كانت هـذه الأخت تعطف على أخيها ، بل انها كانت تأمل فى أن تزوج بنتيها بابنى أخيها . وبعد وقت توفى الأب الفقير . وعند ذاك أصرت العمة على أن تحتضن ابنى أخيهـا ومعهما أمهما كـذلك .. ومن ثم فقـد أرسلت اليهـم زوجها ليحضرهم جميعا معه فيقيموا فى دارها . ولكن ممدوح ومجدى رفضا أن يلبيا رغبة عمتهما هـذه :

ممـدوح لمـا سمـع هـذا الكـلام والـدور
قال روح يا جـوز عمتى وبلاش خـراب الدور
لازم نعـول أمنا ولـو نخـدم أقل النـاس
(دى) ربتنا لمـا بقينـا رجـال بعين النـاس
وآخـر المواخـر سـيبها تتحـوج للنـاس
نشـتغل بالفـاس ولم نرضى بهـذا الـدور
ومجدى الصغير قال احنا ياجوز عمتى أشراف
الوالدين يـامـا وصى عليهم سـيد الأشراف
لازم نعـول أمنـا دى عـزنا مش عيـب
وان عـوزنا حاجـة آدى انتـو موجـودين
والفقـر مش عيـب لكن لازم نعيش أشراف

ولكنهما أمـام اصرار زوج عمتهما رحـلا مع امهـم الى بيت عمتهم ، وهناك فى بلدة عمتهما دخـل ممدوح ومجـدى المدارس .. فلما كبرا عرض عليهما زوج العمه أن يتزوجا بنتيه . فماذا قالا له ؟

ممدوح زعـق وقـال يا عمى « نبيه » أولادك
عـلى راسـنا طبعـا لا بد نشـيل أولادك

بس احنـا لنـــا رأى واســمع رأى أولادك
الرأى مجـــدى يشـتغل محـامى ونعـوله
وأنا برضـــه جنبـه نأجـر عزبة ونعـوله
نبقى صحـاب ملـك علشـان ما نسمى عولة
ولا نعيشـوش عـوله عـلى إمـلاك أولادك
يمـكن ظـروفنـا تعـاود ننعـدل ثـانى
والحـظ يعـرف أصحـابه ويرتجـع ثـانى
والدنيـا تصـبح فى مستقبل عظيـم ثـانى

فامتثل زوج العمة لرأيهما وتركهما وشأنهما • ولم يطل العمر بزوج العمه بعد ذلك ، فتوفى تاركا ابنتيه فى رعاية ابنى خالهما ولكن الابنة الكبرى شذت فى سلوكها وأحبت رجـلا وضيعا غرها جمـاله وتزوجت به • ولكن ما لبث هذا الرجل أن أهانها وطردها من البيت • فلما خشيت من شماتة الناس ، بخاصة الأهل والأقارب الذين ساءهم سلوكها ، دخلت على زوجها فى الليل وطعنته بسكين فمات لحينـه • وألقت الشرطة القبض عليها واتهمتها بقتل زوجها • وهنـا هب ابن خالها مجدى لنجدتها ، وكان فى ذلك الوقت قد صار محاميا مرموقا ••

قام مجـدى راح ع السويس لاجـل الدفاع أهله
قـال عيب ع السبع لو فـات فى الضنى آهـــله
واذا اتبعتـر اللحـم ما يلمـوش غـير إهـــله
وصـــار يوضـح لقـــاضى المحـــكمة وقرايب
ويقول يابيه سناء دى زوجة ماهياش من الخصم وقرايب
و « أنيس » ده قتله يا من الأصحاب يا من القرايب
كـل المصـــايب مـا خلفهـاش غـير أهـــله
القـــاضى نطـق بالبـــراءة والجميـلْ جميلين
ومجـدى خـــدها فى ايـده فى البـلد جميـلين
ممدوح خطيبها الأولانى قالْ حتكونى زوجتى جميلين
وقام مجـدى قالْ يا خـويا الكـلام ده جميـلْ
أبوهـا ربـــانا واحنـــا صغـــار ده جميـلْ
صـــانع معـانا الجميـلْ رد الجميـلْ جميـلين

ـج ابنا الخـال ابنتى عمتهما •

هذا ظلا جديرين باحترام الناس فى كل مراحل حيـاتهما ، لتمسكهما بالأخلاق الأصيلة التى يعتز بها الشعب ويشيد بها •

وبهذا نكون قد وضحنا الوظائف الأساسية التى تؤديها الأغنيات الشعبية بأنواعها المختلفة فى حياة الشعب • فالأغنية ، شأنها شـأن سائر أشكال التعبير الشعبى السـابق ذكرها ، لا يتغنى بها لمجـرد التسلية ، كما هو الحـال فى الأغانى التى نسمعها فى الاذاعة المرئيـة وغير المرئية ، بل هى تعبير صادق عن وجـدان الشعب ، وشكل أدبى يودعه الشعب قيمه الحضارية فى انفعال صادق •